

الرَّسَالَةُ ٣٣٣

كُنْتُ فَتًى وَقَدْ شِخْتُ

(Arabic – I was young, and now I am old.)

أَحِبَّائِي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: كُنْتُ فَتًى وَقَدْ شِخْتُ

وَمِنَ الْمَزْمُورِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ.. نَقَرْنَا الْعَدَدَ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ:

" كُنْتُ فَتًى وَقَدْ شِخْتُ. وَلَمْ أَرَّ صَدِيقًا تَخْلَى عَنِّي. وَلَا ذَرِيَّةَ لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْرًا".^١

خَلَقَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ. وَهَذَا يَتَضَمَّنُ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ مِثْلَ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ تَاجُ الْخَلِيقَةِ. وَخَلَقَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ بِأَنْوَاعِهَا الْمُخْتَلِفَةِ. وَالكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ بِالْغَرِيزَةِ تَسْعَى لِلْحُصُولِ عَلَى غِذَائِهَا. وَعَلَى مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لِبَقَائِهَا وَلِبَقَاءِ نَسْلِهَا. الْكُلُّ يَسْعَى لِكَسْبِ رِزْقِهِ حَتَّى طَيُورَ السَّمَاءِ تَسْعَى أَيْضًا لِكَسْبِ رِزْقِهَا. وَيُعْجِبُنِي مِثْلُ مَا لَوْفَ سَمِعْتُهُ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ طَيُورَ السَّمَاءِ وَيَعْتَنِي بِهَا وَلَكِنَّهُ لَا يَضَعُ لَهَا طَعَامَهَا فِي أَغْشَائِهَا. بَلْ هِيَ تَسْعَى لِتَجِدَهُ وَحِينِيذٍ تَلْتَقِطُهُ بِمَنَاقِيرِهَا. وَلَقَدْ خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ لِيَعْمَلَ. وَبِالْأَصْحَاحِ الثَّانِي مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ الْعَدَدِ الْخَامِسِ عَشَرَ جَاءَ ذَلِكَ النَّصُّ: "وَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا". وَالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ فِي سَعْيِهِمْ لِكَسْبِ رِزْقِهِمْ.^٢

التَّوْعُ الْأَوَّلُ: يَسْعَى سَعْيَهُ وَيَكْتَنِزُ الْمَالَ لِيَصِيرَ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ.. هَذَا التَّوْعُ مِنَ الْبَشَرِ يَرَى الْمَالَ هَدَفًا يَعْشَى مِنْ أَجْلِهِ وَلَيْسَ وَسِيلَةً لِبِقَاتٍ وَيَكْتَسِي وَيَسْكُنُ وَيَنْفِقُ عَلَى الْإِحْتِيَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ لِأَسْرَتِهِ. إِنَّ مَحَبَّةَ الْمَالَ تَسْبِطُ عَلَى فِكْرِهِ وَقَلْبِهِ وَكُلِّ حَيَاتِهِ. قَالَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِمَوْعِظَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ بِإِنْجِيلِ مَتَّى: "لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ. لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ. أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ". وَكَتَبَ بُولَسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى تِيمُوثَاوَسَ الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ يَقُولُ: "وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ. فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَحٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ. تَعْرِقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالهِلَاكِ. لِأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالَ أَصْلُ لِكُلِّ الشَّرِّ. الَّذِي إِذْ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ".^٣

لَقَدْ وَرَدَ بِإِنْجِيلِ لُوقَا الْأَصْحَاحِ الثَّانِي عَشَرَ مِثْلًا ضَرْبَهُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ عَنِ غَنَى أَرْضِهِ بِالْغَلَاتِ الْوَقِيرَةِ. وَأَشَارَ الرَّبُّ أَنْ ذَلِكَ الْغَنَى كَانَ غَيْبًا أَسَاءَ إِلَى نَفْسِهِ وَأَضَاعَهَا. لِأَنَّهُ فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ بِدَافِعِ الْأَتَانِيَّةِ وَحُبِّ الذَّاتِ قَانِلًا: مَاذَا أَعْمَلُ؟ لِأَنَّ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَمْثَارِي وَقَالَ: "أَعْمَلُ هَذَا أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلَاتِي وَخَيْرَاتِي. وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لِكَ خَيْرَاتٍ كَثِيرَةٍ مَوْضُوعَةٍ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِّي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي". دَبَّرَ مَشْرُوعًا لِيَكُنْزَ لِنَفْسِهِ لِيَكُونَ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ مُسْتَعْنِيًا بِمَالِهِ وَلَيْسَ غَنِيًّا لِلَّهِ. فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَنِي! هَذِهِ اللَّيْلَةُ تَطْلُبُ نَفْسَكَ مِثْلَ فَهْذِهِ الَّتِي أَعَدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟". ضَرْبَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ذَلِكَ الْمَثَلُ لِيُوضِّحَ لِسَامِعِيهِ نَصِيحَتَهُ حِينَ قَالَ لَهُمْ: انظُرُوا وَتَحْفَظُوا مِنَ الطَّمَعِ. فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لِأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ.^٤

التَّوْعُ الثَّانِي: لَا يَسْعَى لِرِزْقِهِ بَلْ يُطْعِمُ نَفْسَهُ مِنْ حَصَادِ سَعْيِ الْآخَرِينَ.. إِنَّهُ كَالنَّبَاتِ الطَّفِيلِيِّ الَّذِي يَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ وَيَتَعَذَّى مِنْ غِذَائِهَا. مُعْتَمِدًا عَلَى عُصَارَتِهَا الَّتِي كَوَّنَتْهَا الْأَشْجَارُ بِجُدُورِهَا الْمُتَعَمِّقَةِ فِي الْأَرْضِ بَحْثًا عَنْ رِزْقِهَا. هَذَا التَّوْعُ مِنَ الْبَشَرِ مُتَبَلِّدُ الْإِحْسَاسِ مُتَكَاسِلٌ. يَنْصَحُهُ الْحَكِيمُ بِالْأَصْحَاحِ السَّادِسِ مِنْ أَمْثَالِهِ قَائِلًا: "أَذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلَانُ. تَأْمَلْ طَرَفَهَا وَكُنْ حَكِيمًا. الَّتِي لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ أَوْ مُتَسَلِّطٌ وَتَعِدُّ فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا وَتَجْمَعُ فِي الْحَصَادِ إِكْلَهَا.. إِلَى مَتَى تَنَامُ أَيُّهَا الْكَسْلَانُ! مَتَى تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِكَ؟". وَبِالْأَصْحَاحِ الْعِشْرِينَ مِنْ أَمْثَالِهِ يَقُولُ: "الْكَسْلَانُ لَا يَحْرُثُ بِسَبَبِ الشِّتَاءِ فَيَسْتَعْطَى فِي الْحَصَادِ وَلَا يُعْطَى". إِنَّ بُولَسَ الرَّسُولِ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَّةِ

^١ سفر المزمير ٣٧: ٢٥ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر التكوين ٢: ١٥

^٣ إنجيل متى ٦: ٢٤ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ٩ - ١٠

^٤ إنجيل لوقا ١٢: ١٣ - ٢١

إلى مؤمني تسالونيكى الأصحاح الثالث كتب يقول: "لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم".^١

إن داود النبي في مزموره السابع والثلاثين يقول: "كنت فتى وقد شخت. ولم أر صديقاً تخلى عنه. ولا ذرية له تلتبس خبزاً". ثم يختم بقوله عن الصديق: "اليوم كله يترافق ويقرض ونسله للبركة". وبالتأمل فيما قال نستخلص ثلاثة أمور: أولاً: الصديق مؤمنٌ عليه في البنك السماوي يمتلك أريضةً محفوظة له بضمانات. الصديق ملاذ المحتاجين الذين يقصدونه في أزمتهم. له أحشاء رافات لا يرد طالباً. بل يسارع لنجدة الآخرين بسخاء وسرور. ثانياً: التأمينات والأريضة المحفوظة للصديق في البنك السماوي سارية المفعول ممتدة الأجل. تشمل ذريته من بنين وبنات هذا ما يؤكدُه بقوله: "ولا ذرية له تلتبس خبزاً". ثالثاً: التأمينات والأريضة المحفوظة في البنك السماوي مشروطة بشرط وهو أنها للصديق وليس لغيره. وقد يسأل سائل: من هم أولئك الصديقون؟ إنهم الأتقياء الذين يتحلون بالصفتين: النقوى مع القناعة. ويملاً قلوبهم حب الله وخرقه. يحفظون وصاياه ويطيعون كلامه. يعملون مشيئته ويسلكون حسب إرشاد رُوحه القدس. "أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع". وبالتالي هم يختبرون سخاء عطائه لهم. وكرمه وجوده وإغداقه عليهم وعلى نسلهم من بعدهم.^١

النوع الثالث: يسعى لرزقه باتكال كامل على الله. لا يسعى قلقاً ولا يحمل همًا. لأنه وضع ثقته في إلهه. لقد سأل تلاميذ السيد المسيح أن يعلمهم كيف يصلون. فإذا بالرب يسوع يقدم لهم مثلاً نموذجياً في الصلاة مذكوراً بإنجيل متى الأصحاح السادس. وهي تتضمن هذا الدعاء الذي يلتزم به كل مسيحي حين يصلي: "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم". إن المسيحي الحقيقي يسلك حسب تعاليم ووصايا ذهبية مذكورة بالإنجيل. وخاصة ما جاء بالأصحاح سالف الذكر فهو يوضح موضوع حديثنا اليوم. ونصها كالآتي: "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون.. أليست الحياة أفضل من الطعام؟ والجسد أفضل من اللباس؟". "انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها". "فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها". "لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم". "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ. وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً".^٢

كان بولس الرسول يقوم بتوفير حاجاته وحاجات الذين يعملون معه لتوصيل بشارته الخلاص والتحرير للنفوس المحتاجة. ولقد كتب في رسالته الأولى إلى مؤمني كورنثوس الأصحاح الرابع يقول: "ونتعب عاملين بأيدينا". وبسفر أعمال الرسل الأصحاح العشرين يقول: "أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان. في كل شيء أريتمكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء. متذكّرين كلمات الرب يسوع أنه قال: "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ". وفي رسالته الثانية إلى مؤمني تسالونيكى كتب يقول: "ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح. أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب. وليس حسب التعليم الذي أخذته منا. إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يتم بنا. لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم. ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد. بل كنا نشتغل بتعب وكذللاً ونهاراً. لكي لا ننقل على أحد منكم". "ليس أن لا سلطان لنا. بل لكي نعطيكم أنفسنا قذوة حتى تتملقوا بنا. فإننا أيضاً حين كنا عندهم أوصيناكم بهذا. أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً".^٣

عزيزي القارئ.. ليتك تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرك من أجل سخاء محبتك التي لا يعبر عنها. هذه المحبة التي لم تشفق على الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح. بل سمحت ببذله لأجلنا أجمعين على صليب الجلجثة. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار. متكللاً على وعذك يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر الأمثال ٦: ٦ - ٩ & ٢٠: ٤ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمني تسالونيكى ٣: ١١ - ١٢

^٢ سفر المزمير ٣٧: ٢٥ & ٢٦ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ٦

^٣ إنجيل متى ٦: ١١ & ٢٥ - ٢٦ & ٢٨ - ٣٤ & ١٩ - ٢١

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس ٤: ١٢ ، رسالته الثانية إلى تسالونيكى ٣: ٦ - ١٠ ، أعمال الرسل ٢: ٢٤ - ٢٥